تعليل اختيار الأسماء في النظم القرآني عند المظهري في تفسيره

د. لينا طهماز علي(١)

Dr. Lena Tahmaz Ali

---

(١) تدريسية في جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية/ قسم الأديان.

ملخص البحث:

فقد اجتهد العلماء في الحديث عن وجوه الأعجاز البياني الذي كثرت حوله البحث والدراسات، وكان من بينها التفسير المظهري فقد كان المظهري فيه فارساً مبرزاً علل النظم الحكيم وهماماً في التصدي لبيانها، فدرست أولاً: اختيار أسماء الذات، وثانياً: الاختيار في المشتقات، وثالثاً: وضع الظاهر موضع المضمر، ورابعاً: اختيار الاسم بدل الفعل، وخامساً: الاختيار في الاسم الموصول. وقد تضمن هذا البحث نتائج مهمة؛ منها: ان هذه العلل محضاً من إنكار المفسرين على وفق قواعد اللغة العربية، وليست بالضرورة ان تكون الوحيدة الفريدة بل من الممكن أن تأتي علل أخرى للنص نفسه من مفسر آخر، قد تكون أوجه واكثر قرباً، عما جاءت تعليلات المظهري في تفسيره فيما أورده في ظواهر في مختلف الآيات القرآنية متسمة بأنها ميسرة وسهلة، وبأسلوب ممتع، فضلاً عن الإيجاز والاختصار، أما في دائرة اختيار الأسماء فيتجلى البحث ويتتبع كيفية تأثير الكلمة بالتعبير القرآني ومن غيرها وما يكمن وراء هذا الاختيار من معانٍ وأغراضٍ بلاغية.

Research Summary

Scientists have worked hard to talk about the faces miracle chart that abounded around research and studies، among them was the explanation phenotypic was phenotypic the knight highlighting Hakim systems ills and Hamaa in response to her statement، I studied First، choose self-names، and second choice in derivatives، and thirdly: Development the apparent position of the implicit، and Fourth: choose the name instead of the verb، and V. choice in the connected name. This research has included significant results; including: These ills purely from the denial of the commentators on according to the Arabic language rules، and not necessarily to be unique only، but it is possible to come the other ills of the same text of unexplained another، may be aspects and closer، what came explanations phenotypic in its interpretation with MEMRI in phenomena in various Quranic verses characterized as accessible and easy، and in a manner fun، as well as the conciseness and brevity، but in a circle choose names Vigely research and traces how the word to express the Quranic and others and what lies behind this choice of meanings and purposes of rhetorical.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله البر الجواد الذي جلت نعمته عن الإحصاء والإعداد خالق اللطف والإرشاد الهادي إلى سبيل الرشاد الذي لا يطيب العمر إلا بطاعته ولا تطيب اللحظات إلا بذكره ولا تطيب الآخرة إلا بعفوه ولا تطيب الجنة إلا برؤيته، الموفق بكرمه لطريق السداد والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين.

وبعد..

فقد حار العلماء في كشف حجب البيان عن وجوه أعجاز القرآن بعد ان ثبت عندهم بالوجدان والبرهان فالقران الكريم يمثل المعجزة الدائمة إلى قيام الساعة فشمس إعجازه مشرقة لا تغيب ومن هنا كان اهتمام العلماء به فهم قد شغلوا أنفسهم بالقرآن حفظا ودراسة وبحثا وفهماً وكل فريق من العلماء لهم فيه هدف وغرض وعلى الرغم من كثرة الدراسات حوله فانه مازال معينا يرتوي منه القاصي والداني.

وقد اجتهد العلماء في الحديث عن وجه الإعجاز في التنزيل الكريم أعنى الإعجاز البياني الذي كثرت حوله البحوث والدراسات وكان من بينها التفسير المظهري فقد كان المظهري فيه فارسا مبرزا علل النظم الحكيم وهماما في التصدي لبيانها ولان الحديث في ذلك يطول قررت أن اقتصر على اختيار الأسماء فجاء البحث بعنوان **(تعليل اختيار الأسماء في النظم القرآني عند المظهري في تفسيره)**.

فتنوع العلل كان سببا في تنويع مادة البحث فتناولت أولا علل اختيار الأسماء وقد انضوى تحته اختيار (النور) بدل (النار) أو (الضوء) واختيار (جهرة) بدل (عياناً) واختيار (احد) بدل (واحد) واختيار (السنة بدل العام) وثانياً تطرقت إلى العلل في اختيار المشتقات من اختيار اسم الفاعل بدل الصفة المشبهة وبالعكس تم اختيار (فعيل بدل فاعل) وثالثا بينت العلل الكامنة وراء وضع الاسم الظاهر موضع المضمر ثم رابعاً أشرت إلى علة اختيار الاسم بدل الفعل وبالعكس وخامساً تناول الاختيار في الاسم الموصول والحمد لله في الابتداء والاختتام.

التمهيد:

لقد درس التعبير القرآني دراسات مستفيضة وأولي من النظر مالم ينله نص أخر ولا عجب في ذلك فهو النص الفريد الذي تكون مادته كلام الله تعالى المسند إليه بطريق لا يمكن أن يشك في صدقه فهو المنقول إلينا بالتواتر وهذه حقيقة جعلت العلماء يتناولونه بالدرس مبينين بعضا من أسراره وشيئا من إعجازه مشيرين إلى ما يؤديه هذا النص المعجز من أسرار بلاغية وعلل تعبيرية تعكس واقعه بأدق تفاصيلها وكأنها صورة مشاهدة، لذا نجد انه قد درس من حيث تصويره الفني فكان اجمل تصوير وابرع لوحة فنية⁽¹⁾.

وهل يشك أحد في فخامة نظمه وحلاوة موسيقاه وعذوبة جرسه وحسن اختيار ألفاظه وجمال وقع آياته.

ودرس أيضاً من حيث أعجازه فكانت جوانب إعجازه لا تحصى اهو في أسلوبه وتعبيره أم في معالجة جوانب الحياة المختلفة على اكمل وجه وابهى صورة أم هو في أخباره عما سيقع أم هو فيما قرره من حقائق علمية وكونية يكتشف الناس على مدى الدهر بعضا منها أم هو فيما وضعه من قواعد وأصول التربية ومعرفته أدواء القلوب والنفوس أم هو في كل ذلك وأشياء أخرى فوق ذلك⁽²⁾.

ودراستي في هذا البحث الموجز تتناول جانباً من جوانب أعجاز القرآن الكريم في بيانه وأسرار تعبيره اللغوي في التفسير المظهري وهذا موضوع يتوخى فيه أصحابه بيان أسرار الأعجاز اللغوي في النظم الحكيم وذلك من معرفة علل رأوها أسبابا لما أعجزهم متمثلة بوجهات نظر يرونها.

والمقصود هنا بالعلة: بيان السبب وهو معنى من المعاني الذي يذكرها اللغويون إذ يذكرون لها معاني عدة: منها المرض ومنها الحدث يشغل صاحبه ومنها ما يعوق صاحبه عن امر ما ومنها بيان الغرض⁽³⁾.

وبيان الغرض الذي نحن بصدد بحثه لا نعني به الجزم بان الله تعالى قال ذلك للعلة الفلانية التي ذكرها مفسر ما وإنما هو قول أدلى به صاحبه في وجهات نظر رآها على وفق معايير كلام العرب محاولا فهم كلام الله تعالى فهما أدق فهو وجه من وجوه التفسير بالراي.

---

(١) ينظر: فقه السيرة النبوية:٦٦، د. موفق سالم نوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٧٢ هـ -٢٠٠٦ م، وينظر: كتاب التصوير الفني لسيد قطب.

(٢) ينظر: التعبير القرآني: ٢١-٢٢، د. فاضل السامرائي، جامعه بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٦ م -١٩٨٧.

(٣) ينظر: لسان العرب: (علل).

علماً أن كثيرا من هذه العلل كتب بروح علمية عالية جاءت بعد مخاض طويل من التفكر والتدبر لآيات الله تعالى وان كان ما كتب يحمل في طياته التكلف والغلو (١). وقد كتب في هذا العلم كثير من العلماء قديماً وحديثاً وكان المظهري من بينهم وكان تفسيره يعج بالعلل المتنوعة لمختلف الظواهر ولذلك اقتصرت في هذا البحث أن اذكر العلل التي تخص اختيار الأسماء في النظم القرآني في هذا التفسير مع استعراض ما ورد في تفاسير أخرى فتعدد وجهات النظر في التعليل يؤدي إلى فهم النص واستيعاب مدلولاته وكثيراً ما تتوافق الآراء في علة ما فتصبح هذه العلة أكد من غيرها وأولى على أحقيتها من غيرها كما سياتي بيانه.

أولا: اختيار أسماء الذات:

إن من يقرا القران الكريم ويمعن النظر في ألفاظه وتراكيبه يجد أنه عبر بلفظ يدل على معنى لا يدل عليه غيره فلكل لفظ دلالة خاصة ولو وضعت لفظة بدل أخرى لاختل الجانب الدلالي داخل الآية القرآنية وبهذا تظهر لنا معجزة القران الكريم بنظمه واضحة والتي تحدى بها جميع الناس.

وهذا يوضح لنا سمة من سمات النظم الحكيم وهي الاختيار في الأسماء فعند استقراء ألفاظ النظم القرآني فإننا سنلحظ اختياره اسما ما ليعبر به عن معنى مقصود ولحكمة معينة ولعل هذا ما لفت انتباه كثير من الذين عنوا بدراسة هذا الجانب(٢).

ولم يكن المظهري في معزل عن هؤلاء وكان جهده في هذا الجانب له ما يميزه عن الأخرين فكل من يتأمل إشاراته إلى النكت التي تتعلق باختيار الأسماء في التعبير فانه حتما سيشهد ببراعته الفائقة وحسه البياني الدقيق ولتوضيح ذلك فإنني سأقف على بعض الأمثلة وذلك فيما يلي:

---

(١) ينظر: التعبير القرآني: ٩.

(٢) ينظر التفسير القرآني للقرآن: ٨/ ٧٧، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د-ت) ومن أسرار العربية في البيان القرآني، ٣٥ د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) محاضرة القيت في جامعه بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م ، وتأملات في آي القرآن: ٦١، إبراهيم النعمة، شركة معمل ومطبعة الزهراء، الموصل، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

أ. اختيار (النور) بدل (النار) أو (الضوء):

بين المظهري علة اختيار التعبير الحكيم النور بدل النار أو الضوء وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾(١) إذ قال: (ولم يقل: بنارهم لان النار هو المقصود) (٢)، وكالعادة كانت هناك تعليلات أخرى لعلماء آخرين من الذين تعرضوا لبيان هذه الظاهرة ومنهم الزمخشري الذي ذهب بالقول إلى أن ذكر النور ابلغ لان في الضوء دلالة على الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً والمراد إزالة النور عنهم أصلا (٣)وقد تبعه الرازي (٤).

ويرى السهيلي ان العلة في استعمال النور دون الضوء تكمن في أن النور هو الأصل والضوء هو المنتشر عنه فبنفي النور ينتفي الضوء لأنه أصله ومصدره(٥).

ويؤيد ذلك ما جاء موافقا في التفسير القيم: (وتأمل كيف قال: ﴿بِنُورِهِمۡ﴾ ولم يقل: " بضوئهم" مع قوله: " فلما أضاءت ما حوله ؛ لان الضوء هو زيادة في النور فلو قال: (ذهب الله بضوئهم) لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل فلما كان النور اصل الضوء كان الذهاب به ذهابا بالشيء وزيادة وأيضا فانه ابلغ في النفي عنهم وانهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم) ويضيف تعليلا أخر: (وأيضاً فان الله تعالى سمى كتابه

---

(١) البقرة: ١٧.

(٢) التفسير المظهري: ١/ ٢٩، للقاضي مولوي محمد ثناء الله الهندي الفاني الحنفي المظهري (ت ١٢٢٥هـ) تحـ: غلام بني التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢ هـ، وينظر روح البيان: ١/ ٦٩ للإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي (ت١١٢٧هـ) ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١ ١٤٢٤هـ.

(٣) ينظر الكشاف: ١/ ٧٤، أبو القاسم محمود بن عمر بن احمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٧ هـ.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢/ ٧٨، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) قدم له: هاني الحاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

(٥) ينظر: الروض الانف:٢/ ٢٥٥، لعبد الرحمن السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحـ: عبد الرحمن الوكيل، دار النصر، القاهرة، (د-ت)، ٢/ ٢٥٥.

نورا ورسوله نورا ودينه نورا ومن أسمائه سبحانه وتعالى النور والصلاة نور فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله) (١).

أما السيوطي فقد ذكر ان العلة في ذلك الاختيار ترجع إلى ذهاب النور ابلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير بخلاف الضوء فانه يطلق على الكثير (٢)، واراني مؤيدا ما قال به أصحاب هذا التعليل.

الذي أكده ابن عاشور في كتابه من ان السبب في اختيار التعبير بالنور دون الضوء أو النار ذاك لان لفظ النور انسب لان الذي يشبه النار من الحالة المشبهة هو مظاهر الإسلام التي يظهرونها وقد شاع التعبير عن الإسلام بالنور في القران الكريم فصار اختيار لفظ النور هنا بمنزلة تجريد الاستعارة لأنه انسب بالحالة المشبهة وعبر عما يقابله في الحالة المشبه بها بلفظ يصلح لهما أو هو المشبه انسب في اصطلاح المتكلم(٣).

ب: اختيار (جهرة) بدل (عياناً):

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾(٤)، فقد عبر بـــ(جهرة) بدل (عيانا) وذلك من باب الاستعارة فاستعير للمعاينة (٥) وان الجهر لا يستعمل إلا في الصوت فشبه احدهما بالأخر وارى أن المظهري قد تابع في تعليله هذا السيوطي(٦).

في حين ارجع بعضهم العلة في هذا الاختيار إلى الجانب الصوتي الماثل في (جهرة) فإنها تتسم بصفات تؤهلها ان تكون حسنة الوقع في الكلام الفصيح فـ(جهرة) افصح لفظاً من (عياناً) ذلك لخفتها أولاً فإنها غير

---

(١) التفسير القيم: ٦٢ للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) جمع وأعداد: محمد إدريس، الشيخ حامد الفقي، تحـ: رضوان جامع رضون، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م.

(٢) ينظر: معترك الأقران في أعجاز القران: ٢/ ٣٥٨ لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ضبطه وصححه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) ينظر التحرير والتنوير: ١/ ٣١٠، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ت ١٣٩٣ هـ دار سحنون، تونس ١٩٩٧م وأعراب القران وبيانة: ١/ ٤٥ محي الدين بن احمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص-سورية، ط/ ٤ ١٤١٥ هـ.

(٤) البقرة: ٥٥.

(٥) ينظر: التفسير المظهري: ١/ ٧٢.

(٦) ينظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار: ١/ ٢٥٥، لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) تحـ: احمد بن محمد الحمادي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط/ ١، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م.

مبدوءة بحرف حلق والابتداء بحرف حلق اتعب للحلق من وقوعه في وسط الكلام وكذلك لسلامته من حرف العلة الأمر الذي يحسن وقعها في الكلام ويضفي عليها خفة عند سماعها وذلك غاية الفصاحة(١). والله اعلم.

جـ: اختيار (أحد) بدل (واحد)؛

جاء مثاله في قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٢). يعلل المظهري مجيء (احد) بدل (واحد) قائلا: (أي: ليست كل واحدة منكن أو المعنى: لم توجد جماعة واحدة من جماعات النساء مثلكن في الفضل.... واصل احد: وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير)(٣).

وقد تابع في هذا البغوي عندما قال (ولم يقل: كواحدة؛ لان الأحد عام يصلح للواحدة والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث).

إذن المعنى يكون على هذا: لستن كجماعة واحدة إذا تقصيت جماعة النساء واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة فإن النظم القراني إنما اختار (احد) فيه دلالة العموم كما مَّر ذكرة.

وقد تكون العلة من اختياره أي واحد ليس على سبيل تعيين أو تخصيص فرد بعينة فقد اثر القران استعماله على هذا المعنى في قولة تعالى مخبرا عن أصحاب الكهف: ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ (٤).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٥٠٧.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

(٣) تفسير البغوي: ٣/ ٥٥، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ ١، ٢٠٠٤م – ١٤٢٤ هـ.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٥/ ٥٤٣، لابي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت ٨٨٠هـ)، تحـ: الشيخ احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، دار / ١ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

فان النكتة في العدول عن (واحد) إلى (احد) هي أن العرب اذا قالوا: احد القوم فانهم يقصدون بذلك أيَّ فرد منهم، أما إذا قالوا: واحد القوم فانهم يريدون رئيسهم وبما أن القران نزل بلغة العرب فقد ورد القصد بأحدكم في القصة على أي فرد منهم فراعى لغتهم بذلك التعبير(١).

د. اختيار (مثوى) بدل (مدخل):

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾(٢)، وللمظهري تعليل لهذا الإيثار حيث يرى أن مقتضى التعبير ان يكون: (فبئس مدخل المتكبرين ولما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى)(٣).

والمظهري متابع في هذا من سبقه من المفسرين كالزمخشري(٤)، والسمين الحلبي(٥)، والبيضاوي(٦).

هـ . اختيار (الألف) مع السنة و (الخمسين) مع العام:

علل المظهري السر في اختيار التعبير القرآني هذه العبارة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا ﴾(٧) قائلاً: (روي انه بعث على رأس الأربعين ودعا قوما تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد

---

(١) ينظر: السراج المنير: ٤/ ٢٠ للإمام محمد بن محمد الشربيني الشافعي الخطيب (ت٩٧٧هـ) علق علية: احمد غرد عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ١: ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م وروح المعاني: ١٥/ ٢٩١، لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) علق علية: محمد احمد الآمد وعمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط/ ١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

(٢) غافر: ٧٦.

(٣) التفسير المظهري: ٨/ ٢٧٦.

(٤) ينظر الكشاف: ٤/ ١٧٩.

(٥) ينظر: الدر المصون: ٩/ ٤٩٩، واحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحـ: د: احمد الخراط، دار القلم دمشق، ط/ ١، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣م.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل: ٥/ ٦٤ لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥ هـ) تحـ: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ١، ١٤١٨ هـ.

(٧)العنكبوت ١٤.

يطلق على ما يقرب منه ولما ذكر الألف من تخييل طول المدة إلى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة) (١).

فالمظهري ارجع العلة في اختيار السنة والعام إلى الجانب اللفظي ولكنني أظن أن تعليل السمين الحلبي اظهر عند فصل القول بيان هذه الآية: (وقد رويت هنا نكتة لطيفة: وهو أنه غاير بين تمييزي العددين فقال في الأول: سنة وفي الثاني عاما لئلا يثقل اللفظ ثم انه خص لفظ العام بالخمسين إيذانا بأنه نبي الله صلى الله عليه وسلم لما استراح منهم بثي في زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة) (٢)، وتبعه الألوسي (٣).

فناسب (العام) زمان حياة نوح علية السلام بعد إغراقهم حيث يشير إلى الرخاء ورغد العيش بالنماء وخصب الأرض كما يوحي باطمئنان القلب وانشراح الصدر بإيمان المؤمنين وانتهاء عهد المغرضين (٤).

أما من الناحية النفسية فيمكننا أن نلاحظ مما تقدم أن الفرق الحقيقي بين اللفظين عائد إلى المعنى النفسي وإلا فالمدة الزمنية واحدة لكن الذي يميز بينهما هو الأمر النفسي فحين تكون المدة انقضت بالرخاء والاستقرار وهو تابع لما في النفس فهو (العام) وان كان بالقحط والجدب فهي (السنة) فالأمر النفسي لا غير هو المميز (٥).

ومما تقدم نستطيع ان نجزم ان دلالة السنة هي غير دلالة العام فكل لفظ له معناه الخاص به الأمر الذي يؤكد الإعجاز العلمي للنظم القرآني فأسلوب الاستثناء في قوله: (إلا خمسين) قد مكن من ذكر المميزين لتدل السنة على ما عاناه نوح عليه السلام وقاساه في تبليغهم إذ هم عنده معرضون وليدل(العام)على ان زمان حياته عليه السلام بعد إغراقهم كان رغداً ورخاءً وسعةً واطمئناناً.

---

(١) التفسير المظهري: ٤/ ١٩٠.

(٢) الدر المصون: ٩/ ١٣.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٢٠/ ٤٦٧.

(٤) ينظر: روافد من نهر الإعجاز القرآني: ١٥٩ -١٦٠، د. بسيوني عبد الفتاح فيود مؤسسة المختار، القاهرة، ط/ ١، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م.

(٥) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية: ٢٥٨، د. عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط/ ٢، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م.

والذين يزيد من تأييد هذه المدلولات ما ورد في آيات الذكر الحكيم منها عندما قال مولانا سبحانه على لسان نبيه يوسف علية السلام بقولة: ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا ﴾ (١) فعبر بالسنين في أيام الشدة والقحط ثم قال من بعد ذلك في أيام الرخاء والخصب: ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾(٢) معبرا بالعام وقال ربنا مخبرا عن آخذه لآل فرعون: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (٣) وهذا الاختيار يخرجنا إلى فائدة أخرى وهي أن عمر سيدنا نوح عليه السلام لم يكن تسعمائة وخمسين عاماً بل الف وخمسون عاماً والذي أوصلنا إلى هذا التباين الحاصل بين السنة والعام وكذلك ما ورد من آيات تثبت ذلك والله اعلم بأسرار كتابه.

ثانيا: الاختيار في المشتقات:

ان للمشتقات أهمية كبيرة فهي بحركاتها وزوائدها تمثل الصورة أو القالب اللغوي الذي تظهر فيه الكلمة (٤)، وفضلا عن ذلك فإنها تسهم إسهاماً كبيراً في إثراء اللغة عن طريق إضافة ألفاظ جديدة إلى الصيغة الأولى بجانب أنها يمكن ان تكون أداة للكشف عن خصوصيات الدلالة إذا ما تم مراعاتها في السياق وتركيب الكلام (٥).

وقد نبه الدكتور فاضل السامرائي في أثناء حديثة عن الأبنية ودلالاتها ومعانيها إلى ان اللغويين القدامى لم يولوها ما تستحق من الأهمية فإنهم نظروا بصورة خاصة في شروط الصيغ ومقيسها ومسموعها وقعدوا لذلك القواعد أما قضية المعنى فإنهم كانوا يمرون بها عرضاً ولا أقول إنهم قد اغفلوا المعنى تماماً بل هم يذكرون أحيانا قسماً من معاني الصيغ فما تؤديه صيغة معينة للاسم من معنى يختلف عن صيغة أخرى للاسم نفسه فالقرآن الكريم قد يستعمل في مكان ما صيغة ثم يعدل في مكان آخر عن تلك الصيغة فيحولها

---

(١) يوسف: ٤٧.

(٢) يوسف:٤٩.

(٣) الأعراف: ١٣٠.

(٤) ينظر: البحث الدلالي في التبيان في تفسير القران: ٦٥.

(٥) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٣، د. محمد ياس خضير الدوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى (١) وهذا ما سنعرضه في هذا المقام وذلك في ضوء لمسات المظهري البيانية لهذا الضرب من الاختيار.

أ. اختيار اسم الفاعل بدل الصفة المشبهة وبالعكس:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢). ففي قوله (حاذرون) قراءتان الأولى: (حذرون) بغير الف وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع والأخرى: (حاذرون) بصيغة اسم الفاعل وهي قراءة باقي السبعة (٣). إذ لكل قراءة معنى يقتضيه السياق وقد تطرق المظهري لذلك قائلا: (قرأ أهل الحجاز والبصرة (حذرون) و(فرهين) بغير الف ووافقهم هشام في (حذرون) والباقون (حاذرون وفارهين) بألاف فيهما والأول للثبات والثاني للتجدد وهذا معنى ما قاله الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن والحذر: المخاوف وقيل: حاذرون: مؤدون مقوَّون أي ذووا إزاءه وقوة أي مستعدون شأوا السلاح كذا قال الزجاج ومعنى حذرون: خائفون مستيقظون أي غير غافلين) (٤). فأشار المظهري إلى معنى كل صيغة على حدة فصيغة (حذرون) بغير الف تدل على الثبوت والمداومة أما صيغة اسم الفاعل (حاذرون) فإنها تدل على الحدوث والتجدد، قال ابن خالويه: (ويقرا بإثبات الألف وحذفها) فالحجة لمن أثبت: انه أتى به على اصل ما أوجبه القياس في اسم الفاعل...والحجة لمن حذف الألف: انه قد جاء اسم فاعل على(فعل) كقولك:(حَذِر، نَحِر، و عَمِل) وقد فرق بينهما بعض أهل العربية فقيل : رجل حاذر فيما يستقبل لا في وقته ورجل حذر: اذا كان الحذر لازماً له) (٥).

---

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٥ د. فاضل السامرائي، المكتبة الوطنية، ط/ ١، ١٤٠١ هـ/ بغداد.

(٢) الشعراء: ٥٤-٥٥-٥٦.

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢/ ٣٣٥، لشمس الدين أبي الخير ابن الجوزي (ت ٨٣٣) تحـ: علي محمد الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى، (د-ت) وكشف المشكلات وإيضاح المعضلات: ٤٩٦، للإمام نور الدين أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي (ت ٥٤٣هـ) تح : الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط/ ١، ٢٠١١ .

(٤) التفسير المظهري: ٧/ ٦٩.

(٥) الحجة في القراءات السبع: ١/ ٢٦٧، للحسين بن احمد بن خالوية (ت ٣٧٠هـ) تحـ: د. عبد العال سالم مكرم دار الشروق، بيروت، ط/ ٤، ١٤٠١هـ.

في حين يرى أبو عبيدة (ت٢١٠ هـ) والزجاج (ت٣١١هـ) ان القراءتين بمعنى واحد لأنه يقال: رجل حَذِر وحذور وحاذر بمعنى (١).

وأظن أن الأظهر ما تابع فيه المظهري ابن خالويه في أن لكل قراءة دلالة فإن (الحاذر) يفيد التجدد لأنه اسم فاعل، و(الحذر) يفيد الثبات لأنه صفة مشبهة والمعنى على هذا يكون: إن من عادتنا الحذور والتيقظ واستعمال الحزم في الأمور فاذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن ما يكسر من قهره وسلطانه (٢).

وقيل: الحَذِر: المخلوق مجبولا على الحذر والحاذر: ما عرض في ذلك وقيل: الحذر المتسلح أي له شوكة سلاح وقيل: الحاذر الذي يحذرك الآن والحذر المخلوق كذلك لا تلقاه إلا حذرا وقيل: الحاذر: المستعد والحذر: المتيقظ وبه قال الكسائي (ت١٨٩ هـ) (٣).

ب. اختيار (فعيل) بدل(فاعل):

ومثال هذا واضح في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (٤) علل المظهري استعمال النظم القرآني لـ (ميت) دون (مائت) اسم الفاعل قائلاً: (أي: لصائرون إلى الموت لا محالة، ولذلك ذكر صيغة النعت الذي

---

(١) ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ٨٦. لابي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) تح: فؤاد سركين، نشر الخانجي، ١٣٧٤هـ ومعاني القران وأعرابه للزجاج: ٤/ ٧١، لابي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١) هـ تحـ: د. عبد الجليل شلبي، خرج أحاديثه، الأستاذ علي جمال الدين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤ م.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز: ٣/ ٢٧٦، لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري (ت ٣٩٩هت) تح حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى، مطبعة الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م وتفسير السراج المنير: ٤/ ١٢٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن:٢/ ٢٨٠ لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحـ: محمد علي النجار دار السرور (د - ت) وأعراب القرآن:٣/ ١٢٤ للإمام أبي جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس (ت ٣٣٨هـ)، علق علية: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١م والبحر المحيط: ٨/ ١٥٧ لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ -١٤٢٦م، والدر المصون:٨/ ٥٢٢، وفتح القدير: ٤/ ١٢٥ للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) صححه: احمد عبد السلام، دار الكتب العلمية: بيروت، ط/ ١، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

(٤) المؤمنون: ١٥.

هو للثبوت دون اسم الفاعل) (١)، إذن عبر ب (ميتون) للدلالة على ثبوت هذه الصفة للموصوف بها بخلاف (مائت) فإنها تدل على الحدوث والتجدد.

والمظهري متابع في ذلك الفراء حيث فرق بين الصيغتين من قبل إذ قال: (وقوله: "بعد ذلك لميتون" تقرأ لميتون و لمائتون وميتون اكثر والعرب تقول لمن لم يمت: انك ميت عن قليل ومائت ولا يقولون للميت الذي قد مات هذا مائت إنما يقال في الاستقبال ولا يجاوز به الاستقبال وكذلك يقال: هذا سيد قومه اليوم فاذا أخبرت انه سيكون سيدهم عن قليل قلت: هذا سائد قومه عن قليل وسيد، وكذلك الطمع تقول: هذا طامع فما قبلك غداً فإذا وصفته بالطمع قلت هو طمع...وهذا الباب كله في العربية على ما وصفت لك) (٢).

نخلص من ذلك إلى أن قراءة (لميتون) هي قراءة العامة أما قراءة (لمائتون) فهي قراءة زيد بن علي (ت٣٥٨هـ) وابن أبي عبلة (ت ١٥١هـ) وابن محيصن (ت ١٢٣هـ) والفرق بين القراءتين جلي بين كما ورد آنفاً، فإن الميت يدل على الثبوت والاستقرار والمائت يدل على الحدوث كضيق وضائق وفرح وفارح فيقال لمن سيموت: مَّيت ومائت، ولمن مات: ميت فقط دون مائت لاستقرار الصفة وثبوتها، (٣) فعلى أية حال نفهم مما تقدم أن (الميت) يطلق على المخلوق الحي الذي مازال يعيش حياته وينتظر أجله فهو ميت مع وقف التنفيذ و لا يدري متى يبدأ التنفيذ.

واذا ما نظرنا إلى سياق الآية فإننا سنجد أنها تخاطب الأحياء وتخبرهم انهم سيموتون إذن كل حي ميت حال حياته، أي انه حي ميت ينتظر قدوم الموت وحلول الأجل (٤).

---

(١) التفسير المظهري:٦/ ٣٧٢، وينظر: السراج المنير:٤/ ٣٣١.

(٢) معاني القران للفراء:٢/ ٢٣٢، وينظر: المفردات في غريب القران:٤٩٨ لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر الكشاف:٣/ ١٨٢ والبحر المحيط:٧/ ٥٥٢ والبحر المديد:٥/ ٢٧ للإمام أبي العباس احمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت١٢٢٤هـ) تح: احمد الراوي دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤ م.

(٤) ينظر: لطائف قرآنية:٦٤، د. صلاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط / ٤، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩ م.

ثالثاً: وضع الظاهر موضع المضمر:

إن من خصائص التعبير القرآني اختيار التعبير بالاسم الظاهر بدل الضمير وارى أن هذا خاضع لما يقتضيه السياق والمقام والحال وللمظهري وقفات على مثل هذه الظاهرة وذلك في أثناء بيانه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾⁽¹⁾.

يرى المظهري أنه عبر بالاسم الظاهر في المرة الثانية في قولة (الذين كفروا) علما انه ذكرهم في المرة الأولى بقولة (وقال الذين كفروا) فكان الأصل ان يقول: (فلنذيقهم) لكنه وضع الاسم الظاهر بدل الضمير ليسجل الكفر وليدل على شمولية هذا الحكم لهم ولغيرهم⁽²⁾.

وقد أجاز الزمخشري ان يكون المراد (بالذين كفروا) هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم⁽³⁾.

ومنه ما جاء في قولة تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾⁽⁴⁾ فقال (بالكافرين) والمعنى: ستحيط بهم... فوضع الاسم الظاهر موضع الضمير للدلالة على موجب الإحاطة أو تنبيها على ما استحقوا به عذابها وتعميماً لكل من اتصف به⁽⁵⁾.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فلم يقل: بهم وإنما اثر الاسم الظاهر فقال: (بالكافرين) على وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على موجب الإحاطة⁽⁶⁾، أي أتى بالاسم الظاهر ليدل دلالة واضحة على ما استحقوا به عذابها ولكي يعم كل من اتصف بهذا الوصف⁽⁷⁾.

---

(1) فصلت: ٢٦-٢٧.

(2) ينظر: التفسير المظهري: ٨/ ٢٩١.

(3) ينظر: الكشاف:٤/ ٢٠٣.

(4) العنكبوت:٥٤.

(5) ينظر التفسير المظهري: ٧/ ٢١١.

(6) العنكبوت: ٥٤.

(7) ينظر: السراج المنير: ٥/ ٢١.

وقد يوضع الظاهر بدل الضمير للدلالة على الذم في صفة ما فقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾(١)، جاء في التفسير المظهري : (وضع المظهر أي: المضلين موضع الضمير ذماً لهم واستبعادا للأعضاء بهم) (٢)فبالإظهار اظهر إضلالهم يقول الألوسي: (وإنما وضع ذلك موضع ضميرهم ذما لهم وتسجيلا عليهم بالإضلال وتأكيدا لما سبق من إنكار اتخاذهم أولياء)(٣).

رابعاً: اختيار الاسم بدل الفعل:

لكل من الاسم والفعل دلالة خاصة به، والسياق هو الذي يوجه الدعوة إلى واحد منها وبحسب حاجته وما يفيده الاسم من دلالة ليس كما يفيده الفعل فالاسم يدل على الثبوت والدوام والفعل يدل على حدث قد وقع إما في الزمن الماضي وإما في الحال أو الاستقبال فهو يدل على الحدوث والتجدد ومن اجل هذا الاختلاف الدلالي بينهما اختير التعبير بالاسم عند إرادة الدلالة على الثبوت والدوام فكان وراء ذلك معان يقصد البلاغي إلى تحقيقها ودلالة التعبير عليها وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَ ﴾(٤).

فقد عبَّر عن صفَّ الأجنحة بالاسم (صافات) وعن قبضها بالفعل (ويقبضن) وذلك لان الأصل في الطيران صف الأجنحة، أي: بسطها فعبر بالاسم الدال على الثبوت والدوام، وأما القبض فطارئ على البسط

---

(١) الكهف: ٥١.

(٢) التفسير المظهري: ٦/ ٢٣.

(٣) روح المعاني: ١٥/ ٣٧٢.

(٤) الملك: ١٩.

لكي يستعان به على الحركة، ولذا عبر عنه بالفعل الدال على الحدوث والتجدد (١)، فان الأصل في الطيران إنما هو بسط الأجنحة والقبض يحدث في وقت بعد وقت الاستظهار به على التحرك)(٢).

ومنه أيضاً اختيار (الواعظين) بدل (تعظ) في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ (٣)، ذكر المظهري علة هذه الظاهرة قائلاً: (حيث لم يقل: أوعظت أم لم تعظ للمبالغة في عدم اعتدادهم لوعظه) (٤).

جاء في السراج المنير: (فان قلت: لو قيل: أوعظت أم لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد؟ أجيب: بان ذلك لتوافي القوافي أو لان المعنى ليس واحدا بل بينهما فرق لان المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشرته فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظهم من قولك: أم لم تعظ) (٥). وقد علل بذلك الزمخشري (٦)، وفرق بين التعبيرين من جهة المعنى من قبلهما.

وقد يؤثر النظم الحكيم التعبير بالاسم بدل الفعل لرعاية الفاصلة ومن ذلك اختيار (صامتون) بدل (صمت) قال تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ (٧)، فقال: (صامتون) ولم يقل(صمتم) لرعاية الفاصلة القرآنية أو رؤوس الآي وقد يكون للمبالغة في انعدام إفادة الدعاء من حيث ان الدعاء مستو بالثبات على الصامت(٨).

---

(١) ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٤٠-٤١ للفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، القاهرة، سنة ١٣١٧ هـ والإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٨٧، جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ) شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتاب اللبناني، ط/ ٥، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠ م. وبلاغة النظم القرآني: ٨٥-٨٦، د. بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، ط/ ١، ١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م ومعاني الأبنية: ٩ ودراسة المتشابهة اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل: ٤٥ (رسالة ماجستير) محمد فاضل، الآداب - بغداد، ١٤١٦هـ-١٩٩٥ م.

(٢) التفسير المظهري: ١٠/ ٢٦.

(٣) الشعراء: ١٣٦.

(٤) التفسير المظهري: ٧/ ٩٧.

(٥) السراج المنير: ٤/ ٤٠.

(٦) ينظر: الكشاف:٣/ ٣٣١ والتبيان في أعراب القران:٢/ ٢٢٦، واللباب: ١٥/ ٩٥.

(٧) الأعراف: ١٩٣.

(٨) ينظر: التفسير المظهري: ٣/ ٤٤٤.

خامساً: الاختيار في الاسم الموصول:

كثيراً ما يعمد القرآن الكريم إلى استعمال هذا الضرب من الأسماء ويختار بعضها بدل بعض وذلك كاختيار (ما) بدل (من) أو بالعكس وقد وفق المظهري مبينا علة هذا الاختيار ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾⁽¹⁾، فعبر عن النساء بـ (ما) وذلك ذهاباً إلى الصفة لان ما يجئ في صفات من يعقل فكأنه قيل: (الطيبات من النساء أو أجراهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن كما في: ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾⁽²⁾.

وذكر السمين الحلبي في وقوع (ما) على العاقل وجوها حيث قال: (وفي وقوع "ما" على العاقل... وجوه:

احدها: انه أتي بـــ (ما) مرادا بها العاقل لأنها مبهمة على كل شيء كذا قال سيبويه (ت ١٨٠هـ) ⁽³⁾ أو أريد به النوع كقوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: النوع الطيب)⁽⁴⁾.

وعلى العكس من ذلك فقد اثر النظم القرآني اختيار (من) بدل (ما) وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ⁽⁵⁾، حيث يرى المظهري انه إنما عبر بـ (من) للدلالة على انه اذا كان أشراف الممكنات من الملائكة والثقلين عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فإن ما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا ولا شريكا⁽⁶⁾.

فذكر (من) لتغليب العقلاء وهذا يعد من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى وذلك انه اذا كان تعالى يملك اشرف المخلوقات وهما الملائكة والثقلان فمن باب أولى ان يملك ما سواهم ويجوز أن يراد به العموم⁽⁷⁾.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) النساء: ٣.

(٢) ينظر: التفسير المظهري: ٢/ ٦.

(٣) ينظر: الكتاب: ٣/ ٣٨٠، لابي بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ط / ١، بولاق، مصر، ١٣١٦هـ.

(٤) الدر المصون: ٤/ ٣٧٩.

(٥) يونس: ٦٦.

(٦) ينظر: التفسير المظهري: ٥/ ٤٥.

(٧) ينظر: الدر المصون: ٦/ ٢٣٤، وروح المعاني: ١١/ ١٨٢.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي انزل القرآن وشرفنا بحفظه وتلاوته ومن علينا بتجويده وتحريره وبيانه وجعل ذلك من أعظم عباداته والصلاة على حبيبه المصطفى ﷺ في الأولى والآخرة وعلى اله وصحبه الأطهار الأخيار وبعد:

فبعد هذه المرحلة الموجزة في ظلال التفسير المظهري أرجو ان أكون قد وفقت في عرض التعليلات التي تعد رافدا من روافد البيان القرآني وسرا من أسرار إعجازه وفي ختام هذا التطواف أجمل اهم النتائج التي توصلت إليها:

١. اظهر هذا البحث بعضاً من وجوه الإعجاز البياني في اختيار الأسماء داخل النظم الحكيم.
٢. تعد هذه العلل محضا من أفكار المفسرين على وفق قواعد اللغة العربية فهي حكم لا بد من إظهارها وليست بالضرورة ان تكون الوحيدة الفريدة بل من الممكن ان تأتي علل أخرى للنص نفسه من مفسر آخر قد تكون أوجه وأكثر قرباً.
٣. تكرار العلة عند المفسرين لا يدل على جمود المفسر عند هذه العلة وإنما يدل على ان هذه العلة أقرب إلى النص وأحق به من غيرها.
٤. جاءت تعليلات المظهري لما أورده من ظواهر في مختلف الآيات القرآنية متسمة بانها ميسرة وسهلة وبأسلوب ممتع فضلاً عن الإيجاز والاختصار.
٥. وفي دائرة اختيار الأسماء يتجلى البحث والتتبع وكيف تؤثر الكلمة بالتعبير القرآني دون غيرها وما يكمن وراء هذا الاختيار من معان وأغراض بلاغية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على سيدنا

محمد وعلى اله وصحبه

أجمعين

المصادر

القرآن الكريم:

- اعراب القران وبيانه: محي الدين بن احمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية، ط/ ٤ ١٤١٥ هـ.
- انوار التنزيل واسرار التاويل: لناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥ هـ) تحـ: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط/ ١، ١٤١٨ هـ.
- الايضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ) شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتاب اللبناني ، ط/ ٥، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م.
- البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي (ت ٧٥٤هـ) بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ -١٤٢٦م.
- البحر المديد: للامام ابي العباس احمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت١٢٢٤هـ) تح: احمد الراوي دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤ م.
- بلاغة النظم القرآني: د. بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، ط/ ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- تأملات في آي القرآن: ابراهيم النعمة، شركة معمل ومطبعة الزهراء، الموصل، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
- التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ت ١٣٩٣ هـ دارسحنون، تونس ١٩٩٧م.
- التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، جامعه بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٦ م -١٩٨٧.
- التعبير القراني والدلالة النفسية: د.عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرانية، دمشق، ط/ ٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م.
- تفسير البغوي: للامام ابي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ ١، ٢٠٠٤م – ١٤٢٤ هـ.
- تفسير القرآن العزيز: لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري (ت ٣٩٩هت) تح حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى، مطبعة الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م.
- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د-ت).
- التفسير القيم: للامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) جمع واعداد: محمد ادريس، الشيخ حامد الفقي، تحـ: رضوان جامع رضوان، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥ م.

- التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) قدم له: هاني الحاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م.
- التفسير المظهري: للقاضي مولوي محمد ثناء الله الهندي الفاني الحنفي المظهري (ت ١٢٢٥هـ) تحـ: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢ هـ.
- الحجة في القراءات السبع: للحسين بن احمد بن خالوية (ت ٣٧٠هـ) تحـ: د. عبد العال سالم مكرم دار الشروق، بيروت، ط/ ٤، ١٤٠١هـ.
- الدر المصون: احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحـ: د: احمد الخراط، دار القلم دمشق، ط/ ١، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣م.
- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: د. محمد ياس خضير الدوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.
- روافد من نهر الإعجاز القراني: د.بسيوني عبد الفتاح فيود مؤسسة المختار، القاهرة، ط/ ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- روح البيان: للإمام الشيخ اسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي (ت١١٢٧هـ) ضبطه وصححه:عبد اللطيف حسن، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١ ١٤٢٤هـ.
- روح المعاني: لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) علق علية: محمد احمد الآمد وعمر عبد السلام، دار احياء التراث العربي،بيروت لبنان، ط/ ١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- الروض الانف: لعبد الرحمن السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحـ: عبد الرحمن الوكيل، دار النصر، القاهرة، (د-ت).
- السراج المنير: للامام محمد بن محمد الشربيني الشافعي الخطيب (ت٩٧٧هـ) علق علية: احمد غرد عناية، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط/ ١: ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م.
- فتح القدير: للامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) صححه: احمد عبد السلام، دار الكتب العلمية: بيروت، ط/ ١، ١٤١٥هـ -١٩٩٤.
- فقه السيرة النبوية: د. موفق سالم نوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٧٢ هـ -٢٠٠٦ م.
- قطف الازهار في كشف الاسرار: لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) تحـ: احمد بن محمد الحمادي، اصدار وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط/ ١، ١٤١٤ هـ -١٩٩٤.
- الكتاب: لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ط / ١، بولاق، مصر، ١٣١٦هـ.

- الكشاف: لابي القاسم محمود بن عمر بن احمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ٣، ١٤٠٧ هـ.
- كشف المشكلات وايضاح المعضلات: للامام نور الدين ابي الحسن علي بن الحسين الباقولي (ت ٥٤٣هـ) تح : الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط/ ١، ٢٠١١ .
- اللباب في علوم الكتاب: لابي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت ٨٨٠هـ)، تحـ: الشيخ احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، دار / ١ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- لطائف قرآنية: د. صلاح الخالدي، دار القلم – دمشق، ط / ٤، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩ م.
- مجاز القرآن: لابي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) تح: فؤاد سركين، نشر الخانجي، ١٣٧٤هـ .
- معاني الابنية: دراسة المتشابهة اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل: ٤٥ (رسالة ماجستير) محمد فاضل، الآداب – بغداد، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م.
- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي، المكتبة الوطنية، ط/ ١، ١٤٠١ هـ/ بغداد.
- معاني القرآن: لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحـ: محمد علي النجار دار السرور (د – ت).

اعراب القرآن: للامام ابي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل ابن النحاس (ت ٣٣٨هـ)، علق علية: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ هـ –٢٠٠١م.

- معاني القران واعرابه للزجاج: لابي اسحاق ابراهيم بن السري (ت ٣١١) هـ تحـ: د. عبد الجليل شلبي ، خرج احاديثه، الاستاذ علي جمال الدين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٤ م.
- معترك الاقران في اعجاز القران: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ضبطه وصححه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٤٠٨،١هـ – ١٩٨٨م.
- المفردات في غريب القران: لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ضبط: هيثم طعيمي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨م.
- من اسرار العربية في البيان القرآني: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) محاضرة القيت في جامعه بيروت، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢ م.
- النشر في القراءات العشر: لشمس الدين ابي الخير ابن الجوزي (ت ٨٣٣) تحـ: علي محمد الصباغ، –المطبعة التجارية الكبرى، (د–ت).
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: للفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، القاهرة، سنة ١٣١٧ هـ .